القصيدة العربية التفاعلية
وتحولات بنية الانتاج الشعري

الاستاذ المساعد الدكتور
منى جابر مجبل
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

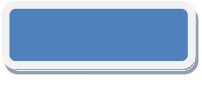

القصيدة العربية التفاعلية
وتحولات بنية الانتاج الشعري

الاستاذ المساعد الدكتور
منى جابر مجبل
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

ملخص البحث

اختصت الدراسة بتحري ماهية القصيدة الرقمية ضمن منظومة الادب التفاعلي والبحث في شاعرية النص الإبداعي الرقمي وفحص آلياته واتجاهاته صوب استنطاق النص والدلالة المتشكلة في الخطاب التفاعلي عموما مشددة على قراءة للنص الرقمي العربي ضمن المنظومة المعرفية العربية وعرضنا لمحاولات التجريب القلق للقصيدة الرقمية المتمثلة بتجربة ((تباريح رقمية لسيرة بعضها ازرق)) بوصفها انموذجا للقصيدة الرقمية العربية الاولى .

المقدمة

إن كل بحث يستند إلى أسس علمية لابد له من الاعتماد على بناءٍ معرفي محدد تحكمه القراءة الواعية والتفحص الدقيق لمجالات البحث وأدواته المنهجية ، من دون أن ينصاع لموقف قبلي محكوم بتصورات ومفاهيم قبلية ،مع الإقرار بعدم إنكار وجودها في الوعي البحثي بوصفه نتاجا انسانيا يخضع لقوانين وسنن التبدل والتغير إلا أن الخطاب العلمي . الموضوعي . بوصفه بنية تفسيرية تحليلية . يحاول الربط بين الظواهر بمفاهيم ومبادئ ومعايير تحدد مجاله الداخلي المتسق مع الرؤية العلمية الحاكمة . وعنوان البحث لايعني قيامنا بعملية تصالح بين المنجز الابداعي المعاصر ،وبين المحتوى المعرفي للبيئة الحضارية ومنجزها القديم . الجديد ،لان ذلك مما يوقع الدراسة في شراك المنظور الأحادي وتعسف الرؤية المسبقة المنبثقة من الوهم الثقافي المعتقد بثقافة (الواحد) غير المتعدد، الواحد الغربي الحديث أو الواحد العربي القديم أو المعاصر الذي هيمن على مرتكزات الخطاب الابداعي العربي.

لذلك اضحى تحديد المفهوم شرطا رئيسا في كل مشروع بحثي،لأنه يسهم في تعيين مجال البحث وتقويم الخطاب المعرفي فيضفي عليه دقة،

وعمقا ، وإتساعا من خلال مكونه الدلالي الذي يمثل المغزى من النشاط المعرفي.

وما يندرج ضمنه من أفعال القراءة، والتحليل، والاستنباط، والتفسير، والتعليل، بما يجعل المنهج القارئ بصيغه المتعددة متسقا مع النص المقروء باختلاف أنساقه وأشكاله ،مع الاخذ بالحسبان التداخل الجدلي بين الحقول المعرفية وما يستتبعها من علائق متشابكة تفرز اشكاليات متعددة ، فقد تكون بعض المفاهيم والمرتكزات ذات دلالة مخصوصة مرتبطة بمجال معرفي معين لكنها في مجال آخر تكون غير ذي دلالة فما هو دال في المجال التكنلوجي لا يكون بالضرورة دالا في مجال العلوم الانسانية.

ولعل مرجع الاختلاف يعود إلى آليات القراءة وطرائقها التي ترتبط بالتصورات القبلية المسبقة التي تبرز على مستوى البنى والمفاهيم بما يجعل المجال متغيرا وان اتفقت حدوده العامة ، لان المجالات المعرفية بأكملها نتاج الكائن المتحيز . الإنسان . فهو ليس كائنا محايدا بل هو كائن منحاز تؤثر فيه الإحداث لتشكل معطيات قبلية بمشتقاتها المختلفة .ومن اهمها الحاضنة الثقافية بانساقها المتعددة (الموروث ،اللغة ، الثقافة ، الحضارة) ،إذ تتجذرفي الغاطس والمخفي الممثل للاوعي الثقافي والمؤثر بدوره في تشكل الوعي وصيرورته ،مما يفضي بالدراسة الى اعتماد محددات منهجية ترى في ان مجالات المعرفة للنص الرقمي . أيا كان هذا النص . تمر بوسائط ومنظومات عرضنا في البحث لأهمها، لاسيما مفاهيم التلقي والشفاهية والجنس الادبي فضلا عن مفهوم الريادة وتم ذلك في محاور اعتمدت بنية النص المقروء. ولأجل ضبط المحددات المنهجية اختصت الدراسة بتحري ماهية القصيدة الرقمية ضمن منظومة الادب التفاعلي والبحث في شاعرية النص الإبداعي الرقمي وفحص آلياته واتجاهاته صوب استنطاق النص والدلالة المتشكلة في الخطاب التفاعلي عموما مشددة على قراءة للنص الرقمي العربي ضمن المنظومة المعرفية العربية ،واعتماد الاطار الفكري بوصفه مدخلا لفهم آليات التجديد والتحديث ،لأن القصيدة الرقمية لم تنتج الا بفعل التبدلات الحضارية والعلمية التي اثرت في الوعي العربي، وتكفل التمهيد بعرض اهم مرتكزات الوعي العربي بينما عرضت محاور البحث لحداثة الادب التفاعلي وقراءة أهم تمظهرات القصيدة الرقمية من خلال أنموذج الشاعر مشتاق عباس معن ((تباريح رقمية لسيرة بعضها ازرق)) بوصفها أنموذجا للقصيدة الرقمية العربية

التمهيد

التبيئة وماهية التحولات في بنية الانتاج الادبي

اتفقت أغلب النظريات النقدية الحديثة على أن الوجود الثقافي يتمظهر في الآثار الأدبية التي تكون جزءا من عمليات التحول والتناغم ضمن السياقات التاريخية المنتجة لها بما يولد أنماطا

تـرتبط بسلسـلة التجـارب الحضـارية والثقافيـة للبنيات القارة،فلا يمكن لنص ما أن يوجد مستقلا عن شبكة العلاقات اللغوية والثقافية والحضارية التـي تمـارس سـطوتها الكاملـة فـي اللاوعـي الإبداعي .

إلا أن هـذه السـطوة تكتنـز فـي طياتهـا جدليـة اختـراق الحـواجز المهيمنـة علـى الـذات الإنسانية،ومنحها حرية التنقل بين حدود الزمن من خـلال قدرة المبدع علـى توظيف السياقات التقليدية،وتحديـد طبيعـة الامتـداد الثقـافي وآليـة المقاربـات للـنظم الإبداعيـة، والتـي تتكـئ بـدورها علـى اشـتراطات التميـز والفـرادة فـي التجـارب الانسـانية المختلفـة، بحسبان أن لا وجـود لـنص خـارج امتـدادات التجـارب الحضـارية والثقافيـة وكذلك لا يمكـن لـنص أن يخـرج عـن الحاضـنة الثقافيـة والحضـارية لـه، لاسـيما إذا كانـت الحاضنة متميزة بأنساقها المعرفية والثقافية فتكون سـطوتها فاعلـة ومـؤثرة فـي جـل التمظهـرات المعرفية والإبداعية .

والنظام الحضاري الذي بنيت علية البيئة العربية يستمد سطوته من فضاءات وانساق دينية ومعرفية وثقافية تمتد بجذور متماسكة في النشاط الحضاري والإنساني،وتتميز بإنجازات مؤثرة وفاعلة أفضت الى انبثاق مدارس فتحت آفاق القراءة والبحث والدراسة والإبداع وصاغت لها آليات ومحددات ومبادئ إجرائية متخصصة بها،ولكل مظهر منها خطوطه الفارقة التي يعرف بها، الا ان هذا التمايز لم يمنع من ان تتداح في مديات التشكل الحضاري علائق الاتصال البنيوي بين المجالات المعرفية المتعددة ليثمر هذا التواشج العلائقي مظاهر متخصصة عرف بها المنجز الابداعي العربي الذي يعد مصداقا لأثر البيئة في الظاهرة الإبداعية وتشكلها،لتكون مشروطة بظروفها ومؤطرة بحدودها الزمنية .

إلا ان الخصوصية التاريخية التي كانت تميز النتاج الحضاري العربي لم تعد فاعلة في المرحلة المعاصرة، فقد سبقنا الآخرون في تحقيق استقلالهم التاريخي لذاتهم لاسيما في مجال المفاهيم وانتاج المعرفة والعلوم الكاملة، وأضحى وجودنا المعرفي والحضاري مسبوقا بخطوات بعيدة لا تحيطها التراتبية المعروفة في التنسيق المعرفي ،وتحدد دورنا في الاقتباس والتقليد والاستنساخ وهو ما لا يمكن انكار وجوده في المراحل الحضارية المتعددة ،إلا ان المشكل لا يتمثل في عملية الاقتباس وإنما في الكيفية التي يتم فيها هذا الاقتباس إذ إن النجاح الحقيقي يتمثل في القدرة على تبيئة المفاهيم العلمية والاجرائية بما تتسق والواقع الحضاري العربي.

فمن المعلوم إن الحضارة التي لا يحيطها التنوع و الاختلاف من كل جانب هي الحضارة الأقرب إلى الموت بينما الحضارة التي تثير التساؤل و الاختلاف و تبتعد عن النزعة المطلقية و الوثوقية في الفكرو تتخلى عن المطلقات البديهية

في تحدياتها الابستمولوجية هي الأكثر قدرة على البقاء، بخلاف ماترسخ في الوعي العربي المعاصر بتبنيه تحديد آليات الفعل بوصفها آليات استرجاع و تذكر لا للماضي فحسب بل للآخر الغربي،بسبب النزعة المطلقية التي افضت الى تحجر الخطابات العربية ووسمها بالتلفيقية غير المحافظة على التوازن المعرفي ([1]).

فقد تأرجحت خطى بنيتنا المعرفية والحضارية بين الإقدام والإحجام في زمن يتسم بتعجيل حضاري كبير ومؤثر في صناعة الوعي الانساني بقدر من التغير والتبدل والصيرورة التي تتجاوز التبدلات الحضارية السابقة ،ومايستتبع ذلك من تأثير على البنية الانسانية التي كانت اكثر عمقا وانغماسا في انتاج العلم الذي تلقفته مجتمعاتنا بما يعرف بـ (حرق المراحل) وهو الداء الذي عمد فيه الانسان العربي الى استعمال المفاهيم بكيفية اجرائية مقتبسة من تطور حضاري جديد من دون التوقف والاستفهام حول نجاعة استعمال المفاهيم الاتية من مناهج مختلفة، ومعرفة القيمة الحقيقية لها في اصولها الغربية أو التراثية، وإمكانية توظيفها بصورتها المنعزلة عن بنيتها الام التي شكلتها، بمعنى البحث عن الانسجام المعرفي بينها،فكل محاولة تجديدية او تحديثية لابد لها من ايجاد التكامل الداخلي بين عناصرها المشكلة لها وصلاحية توظيفها في تبيئة حضارية قادرة على استيعاب البنية الذهنية المترسخة في الوجود الحضاري،وهو ما افتقدته جل التجارب الفكرية والثقافية والحضارية العربية والاسلامية المعاصرة فضلا عن آليات التطبيق العملي للبحث والتفكير والمعرفة العلمية التي افرزتها التطورات المتسارعة في العلوم والمعارف.

إن اختيار المدخل الفكري والثقافي للواقع العربي وتوظيفه في قراءة القصيدة الرقمية يعود أساسا إلى اعتبارات الفهم الإبداعي لأنماط التجديد والتي ظلت محكومة برؤى مسبقة شكلت المرجع المعرفي لها.

ومن أهمها الكيفية التي وظفت فيها المفاهيم في العلوم الانسانية ،فقد أفضى التداخل الابستمولوجي المعاصر. في العالم الغربي . الى الأخذ بمفاهيم ولدت في حقول علمية صرفة كالرياضيات والفيزياء ثم انتقلت تلك المفاهيم من مجالها التداولي الاصلي الى يد المشتغل بالعلوم الانسانية الذي قام بأخضاع تلك المفاهيم الى التغيير والاضافة والتعديل والحذف([2])، لتصل بمرتبة ثالثة الى العالم العربي الذي وجد نفسه أمام خيارات متعددة منها:

١. تبيئة تلك المفاهيم من خلال فحص نجاعتها الاجرائية وطواعيتها للتوظيف بقيم معرفية محددة داخل اصولها والحفر في النقلات التي حدثت فيها باستثمار الواقع الانساني العام الذي يربط بين المفاهيم والمناهج الانسانية على الرغم من ارتباطها بمرجعياتها المؤسسة لها .

٢ . تطبيق منهج جاهز واستنساخ مفاهيم ترتبط بصورتها الاولية من دون استكناه لطبيعة هذه المناهج والرؤى والوقوع تحت اغراء المفاهيم الجاهزة .

٣. الافادة من الابستمولوجيا بوصفها طريقة للتفكير او للرؤية تتعدى المعرفة العلمية المحصورة بعلم تطبيقي ما وعدها ميدانا لإنتاج المفاهيم المتخصصة بالبيئة العربية بعيدا عن العموميات.

٤. اعتماد الخطابات التبشيرية المبتنية على ثنائية الانبهار والاحتقار (٣)بالاقبال الكلي على الحداثة ومابعدها ونبذ التراث أو بخلاف ذلك بالتوغل في التراث وشتم غيره تسيرهم في ذلك سايكولوجيا المحارب المنداحة في تلافيف البنية الحضارية العربية وطياتها العليا والسفلى .

٥. الممارسة التلفيقية والترقيعية للمفاهيم والاشكال الحضارية والأنساق الثقافية بالأخذ السطحي وغير الواعي لمجموعة من المفاهيم والمقولات ومحاولة دمجها في سياق محدد .

ولعل النصوص الرقمية العربية المعاصرة تمثل أنموذجا ابداعيا حاول اقحام بنية ثقافية في بنية أخرى تختلف عنها في طبيعة تشكلها وأنساق تمظهراتها، ولم يحاول اصحابها توظيفها في الحقل الثقافي العربي، على الرغم من الدعاوى التي جهدوا في ترويجها بوصفها بضاعة مزجاة تستبدل البالي بالجديد وتواكب العصر بتحدياته المختلفة .

لاشك إننا نؤمن بان التجديد ضرورة حتمية ومشروع لابد من تدشينه في كل عصر شريطة استيعابه لآليات التغيير ومؤثراته ، فإذا كانت التطورات الحديثة في العالم قد أحالته إلى عالم افتراضي يعيش أفراده في مجتمعات افتراضية رقمية بديلة عن المجتمع بتشكلاته المعروفة بفعل سيادة التطور التكنولوجي وتغلغله في الوعي الغربي فضلا عن أنماط الحياة المادية ، فان الواقع العربي لما يزل يفكر ويعيش ضمن انماط البنية المجتمعية المتأرجحة بين التطور التكنلوجي والوعي الحقيقي بتوظيفه ضمن مديات الواقع المعاش . والذي يهمنا في هذا الأمر منهج المجددين ومحاولاتهم تبني طرفي الثنائية في التوفيق بين منجزات العقل العربي وبين احتضان مقولات الحداثة الغربية وما بعدها ولاسيما أن الخطاب العربي مازال متهما بكونه يتدرب على النقد ولم يمتلك أدواته المعرفية الكاملة والتي تؤسس لحس نقدي ناضج ومتكامل ولعل تحليل الآراء النقدية المتعلقة بمبنى النصوص العربية تمكننا من اكتساب رؤية أعمق للخطاب النقدي العربي وكيفية اندماجه في البنية المعرفية المعاصرة .

المحور الاول : ((حداثة النمط التفاعلي))

إن توظيف العالم الافتراضي في مجال الإبداع الأدبي يكاد يجد لنفسه مسوغا في ظل تغاير أنماط التفكير وتبدل طرائق التواصل ،وبهذا شهدت المجتمعات الغربية ولادة أنماط ابداعية

تتخذ من التكنولوجيا مرتكزا لها متمثلة بتوظيف الحاسب الالكتروني في مجالات الإبداع المختلفة بالنحت والرسم والأدب بعد ان ساد الاستعمال التكنلوجي في حياتهم وارتكز في وعيهم ، وعرفت تلك الفنون بالفنون التفاعلية ومنها الادب التفاعلي الذي اتفق النقاد على ان التعريفات السابقة للادب لا تتسق والصيغة المحددة لهذا النسق فعمد سعيد ياقطين الى تسميته بـ(النص المترابط)([٤]) بحسبان ان الروابط المرئية والسمعية تتجاوز البعد الخطي والكتابي في النص التفاعلي الرقمي او ما يعرف بـ(الملتي ميديا)، التي لاتتحقق الا بوساطة الحاسب الالكتروني لذا جاء تعريف فاطمة البريكي لنمط الكتابة الرقمية ولاسيما الشعرية منها بانه : ((ذلك النمط من الكتابة الشعرية الذي لا يتجلى إلاّ في الوسيط الإلكتروني، معتمداً على التقنيات التي تتيحها التكنولوجيا الحديثة، ومستفيداً من الوسائط الإلكترونية المتعددة في ابتكار أنواع مختلفة من النصوص الشعرية، تتنوع في أسلوب عرضها، وطريقة تقديمها للمتلقي . المستخدم، الذي لا يستطيع أن يجدها إلاّ من خلال الشاشة الزرقاء، وأن يتعامل معها إلكترونياً، وأن يتفاعل معها ويضيف إليها، ويكون عنصراً مشاركاً فيها)) ([٥]).

وبالنسق نفسه حددت جوليا كريستيفا النص التفاعلي بانه : ((جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان عن طريق رابطة بالكلام ، بهدف الإخبار المباشر)).([٦])

ويلحظ ان التعريفات السابقة قد دمجت بين الافادة الفاعلة من التكنلوجيا وبرامجياتها وبين الافادة غير الفاعلة التي تتحقق بما يعرف بالموسوعات العلمية والنصوص الانسانية غير الإبداعية،التي تفيد من التقنيات الرقمية بما يتسق وطبيعة تشكلها،بخلاف النص الابداعي الرقمي الذي يوظف النص التكنلوجي (الهايبرتكست) وفن (الكرافيك) والمؤثرات السمعية والبصرية([٧])لإنتاج نص تتداخل فيه البنية الكتابية والصيغ التكنلوجية بجدلية علائق تنداح في بنى النص العلوية والسفلية لتشكل نسيجا متسقا متواشجا من دون تسيد احدهما على الاخر ،وبهذا تتحدد رؤية النص الرقمي بكونه نصا يفيد من تقنيات التطور التكنلوجي واليات البرمجة الالكترونية ضمن مديات الابداع الادبي ،والمنظومة الجمالية المتبدلة غير المنبترة عن البنية الحضارية القارة في المجتمع، او التي تقفز على التاريخ مثلما يفعل اليوم رواد التجريب القلق المتمثل بالقصيدة الرقمية العربية الذين ابتعدوا عن الفهم الحقيقي لماهية التنافذ المعرفي القائم على التوليفة الدقيقية بين العلوم والمعارف الانسانية ،والتواشج المعقد في مستويات التحرك الحضاري .

ومن المعلوم إن القصيدة الرقمية ظهرت بداياتها الأولى في أمريكا وأوروبا في تسعينيات القرن

الماضي بتدشين مجموعة من الشعراء الامريكان ومنهم روبرت كاندل، وهو أحد رواد القصيدة الرقمية، الذي اظهر نتاجه من خلال موقع الكتروني بعنوان(دوائر الكلمة) في بداية التسعينيات من القرن الماضي .

ثم انتقلت إلى العالم العربي بوساطة مجموعة ميدوزا إذ كتب منعم الأزرق نصا شعريا في العام ٢٠٠٥ والأديب الأردني محمد سنا جلة في روايتيه الرقميتين ((شات)) و((صقيع)) في العام نفسه وضمن روايتيه قصائد رقمية منها ((احتاجك)) و((بقايا))وكتب محمد اسيلم وسولار صباح في العام ٢٠٠٦ قصائد رقمية (٨).

وتنوعت التجارب العربية بين الكتابة الروائية الرقمية والمسرحية الرقمية والقصيدة الرقمية التي سنقف عند اهم تجلياتها من خلال اعلان الشاعر العراقي مشتاق عباس معن ريادته القصيدة الرقمية حين نشر على موقع النخلة والجيران علم ٢٠٠٧ قصيدته ((تباريح رقمية لسيرة بعضها ازرق)) ولن نحاور الشاعر في ادعائه الريادة لأننا نعتقد ان مفهوم الريادة يرتبط بوعي الذائقة السائدة والعمل بإطارها ومن ثم تحويلها تدريجيا إلى ذائقة جديدة تساوق الواقع الثقافي السائد مع قدرة الرائد . ان توفر هذا الشخص . على وعي متتابعة الفكر والإبداع ليؤسس لنصه وجودا متميزا غير منقطع الصلة عن ماهية الوجود الكلي له ولثقافته ، فلا نص يشابه ادم في الخلق وإنما(كل النصوص تتولد وتتناسل من موجودات سابقة ومتلاحقة) (٩) لتفتح آفاقا لنصوص أخرى فاعلة في البنية الثقافية وبهذا يتحقق للمبدع المتميز القدرة على فهم النص السابق والتعايش معه ليصل إلى اللاحق وهو مافعله كبار الرواد في تاريخ الإبداع العربي مثل (المتنبي . أبو تمام . المعري) لأنهم فهموا التجديد وماهيته وكذلك فهم السياب واد ونيس ماهية التجديد بعد ان خبروا التقليد والكتابة على وفق النمط القديم قبل ان يدلفوا إلى بوابة التجديد رويدا رويدا .

اما فيما يتعلق بالشاعر مشتاق عباس فان ادعاء الريادة يتطلب أولا إثبات إتقان السمة التأسيسية للنص الشعري وفهم التحولات التركيبية والبنيوية والدلالية فيها كي يتمكن من إتقان الأدب التفاعلي الذي تعد القصيدة الرقمية احد أجزائه الرئيسة . ولان ماهية القصيدة الرقمية تعتمد على إدماج اللغة والصوت والصورة والحركة واللون والإيقاع مع الروابط التشعيبية او تقنيات الحاسوب لتضيع أبعاد النمط التقليدي للنص الشعري فلا ورق ولا حدود بصرية او سمعية للنص، لذا يطلق عليه مصطلح الأدب التفاعلي بدعوى إشراك المتلقي في العملية الابداعية لا بوصفه متلقيا فحسب بل انه شريك في العملية الابداعية (١٠) من خلال الانتقال عبر(البرمجيات) المتعددة إلى أجزاء النص المختلفة .

المحور الثاني : قراءة في تشكلات القصيدة الرقمية ((تباريح رقمية لسيرة بعضها ازرق))

تشكل تفاعلية النص الشعري الركيزة الأساس التي يعتمدها أصحاب القصيدة الرقمية وبناء على هذا التصور سنعرض لأهم إشكاليات القصيدة الرقمية على ضوء الفهم النقدي الحديث مع الأخذ بالحسبان خصوصية التجربة الشعرية العربية :.

١. القصيدة الرقمية وتفاعلية التلقي:.

من المعلوم ان المنطلق الرئيس الذي تعكزت عليه القصيدة الرقمية تمثل في إشراك القارئ في العملية الإبداعية من خلال برمجيات الكومبيوتر واختيار الألوان او الأصوات المصاحبة للنص الشعري او التحكم في طبيعة قراءة النص من بدايته او أجزائه المتعددة لكننا حين نطالع نص مشتاق معن ((تباريح رقمية لسيرة بعضها ازرق)) نجد ان الشاعر قد تحكم بخلفية الشاشة واختار لها اللون الازرق وبقية المقاطع الالوان الداكنة مع غلبة اللون الاحمر لخط الكتابة للإفادة من دلالات اللون القاتم للتعبير عن محنة وطنه العراق أي ان الشاعر اضفى من البداية اجواء الحزن التي يريدها .

اما الاصوات المصاحبة للنص فقد تشظى التلقي فيها باختيارات الشاعر التي اعتمدت الموسيقى والاناشيد ومعلوم ان المزج بين نسقين لكل منهما مزيته تتطلب الاحاطة بأجواء الاصل المنقول منه فضلا عن توظيفه ،وانسحب الامر نفسه في اختياره للتنقل بوساطة الروابط التشعبية اذ قاد المتلقي واختار بنفسه الأجزاء التي تقرا أولا،أي تم اختيار المطلع والمقاطع الأخرى حين أشار لفتح نافذة عنونها باسم "ضلوع البوح" او نافذة أخرى باسم "حاشية" وتصحيحه وهامش وجعل كل كلمة ايقونة تفتح لصفحة ليست بعيدة في ظلالها وايحاءاتها فقد جعل من كلمات (ايقنت ،ان الحنظل ، موت ، يتخمر) مفاتيح لمقاطع لا تختلف في قراءتها وتلقيها عن تقليب صفحات ورق بأنماط متبدلة في كتابتها افقيا او عموديا .

وهو بذلك لم يقدم شيئا مغايرا للقصيدة الكتابية او الشفاهية فيما يتعلق ببنية النص لان النوافذ التي أشار على القارئ فتحها تماثل مقاطع القصيدة وتسمياتها المتعددة، وكذلك فان التعكز على الألوان والخلفيات والأصوات المصاحبة للنص الشعري ظلت منبترة الصلة به ،إذ بقي للنحت إيحاؤه الخاص وظلت الموسيقى تتماز بعملها المستقل عن النص الشعري ،بل أدت إلى تشظي التلقي من خلال التقاطع في الإيحاء الفني ،لان جو النحت مغاير تماما لتلقي الصوت وكذلك الأمر مع الشعر ،فعملية المزج العشوائي بين الفنون تحدث شرخا في التلقي أكثر مما تساوقه لاسيما وان النماذج المعتمدة هي نتاج لثقافات واجناس ومدارس فنية متعددة .

والغريب ان محاولة المزج بين الفنون ليست بمستحدثة في القصيدة الرقمية وإنما وجدت في

تشجيرات القرن التاسع عشر وأغصانها التي رسموا فيها لوحات من خلال الكلمات وجاءت محاولات الرسم المصاحب للنصوص الشعرية او النثرية من دون إضافة حقيقية للتجربة الشعرية وحين صاحبت الموسيقى النص الشعري في تجارب الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي ظل للموسيقى إيقاعها الخاص وللشعر عالمه المتميز بل إننا نجد ان جيرارد جينيت حين ارسي دعائم العنونة عد المقدمات والعنوان والهوامش في دراساته السيميوطيقية ([١١]) ليست من أصل النص واسماها بالنص المحيط أي ان لها وجودا مغايرا لوجود المتن النصي على الرغم من إنها تعبير باللغة لا بوساطة فنون أخرى .

ولم تقدم القصيدة الرقمية أكثر مما قدمته نظريات التلقي او التأويل المعتمدة على الفلسفة الظاهرتية لاسيما رؤيا هوسلرالتي أعطت للنقد مديات الإشراك والتفاعل بين النص ومتلقيه لتعلن عن القارئ الضمني والقارئ الفائق المتمظهر في تعدد المعنى ودوره في التوصيل الدلالي باعتبار ان اللغة تشكل فهما مغايرا للعالم ولا يتكشف الوجود إلا من خلال اللغة التي تسهم في ((تأسيس الكينونة عن طريق الكلام))([١٢]) ولذا فان الرؤية للكون والحقيقة تتغير بحسب تغير رؤيا المتلقي ومجاله التاريخي ، لتنبثق بعد ذلك فكرة القارئ المثالي التي أوردها ريفاتير ومن ثم تناولها دريدا في تفكيكيته المعروفة والتي أعطت مجالا مفتوحا لتعددية المعاني ولا نهائيتها بالنسبة للمتلقي والمبدع بخلاف المناهج النقدية الجديدة المشكلة للنقد الجديد والتي ترى إمكانية غلق النص او قدرته على الانفتاح بحسب اعتبارات تشكل المعنى ([١٣]) .

وبهذا الفهم استطاعت نظريات القراءة و التلقي المعتمدة على النصوص اللغوية منح القارئ دورا فاعلا في منظومتها النظرية التي نشأت عنها علاقة تفاعلية حقيقية بين النص والقارئ ليحدد كل منهما طبيعة الآخر بارتباط جدلي وثيق بخلاف ما قدمته القصيدة الرقمية من رؤى سطحية لعلاقة النص بقارئه بعيدا عن الفهم الدقيق والواعي لبنيات العمل الفني .

٢. القصيدة الرقمية واللغة:

لعل من نافلة القول الحديث عن كينونة الشعر من خلال اللغة إذ ان الشعر هو ((فن باللغة))([١٤]) وليس للأديب إلا اللغة ليعبر فيها ولعل لارتباط الأصل الفلسفي لكينونة الإنسان اللغوي الأثر الفاعل في تحديد مزية اللغة التي ((تخلع على الشيء هويته او ذاتيته، فاللغة هي الأداة العقلية الأولى التي مكنت الإنسان من تحديد الأشياء وتوضيح فكرته عنها))([١٥]) لتصبح اللغة من مرتكزات التفكير العقلي واليات الوجود المعرفي، فطبيعة الخطاب المعرفي تحكمه جدلية العلاقة بين المخاطَب والمخاطِب والتي تتحدد بدورها بالمسبقات القبلية لكل منهما والمرتبطة بالبنى الفكرية والمعرفية والثقافية الحاكمة للمجتمع وتبدلاته الحضارية بما يؤثر على وضع

الخطاب وماهيته ، من دون ان يفقده مقصديته ومفهومه الذي أراده المبدع والذي يروم من خلاله الوصول الى معرفة تضمن التواصل بينه وبين المتلقي وتضمر في الوقت نفسه بنية تفسيرية للواقع الثقافي السائد وان لم تصرح بذلك أدواته ومفاهيمه بحكم طبيعة العصر وانساق المعرفة التي تسوده ،لتشكل بذلك المنظومة الإجرائية والاداتية الحاكمة لطبيعة الخطاب وتمظهراته وتسمه بالنسبية والتعدد والظرفية والخصوصية التاريخية التي لا يمكن إغفالها في قراءة أي خطاب مهما تعددت أشكاله وتنوعت مجالات تفسيره اخذين بالحسبان محاذير الانصياع للقراءة الإستنساخية للواقع التاريخي او أحادية الرؤية المنهجية ، بمعنى الابتعاد عن الإسقاطات التعسفية للقراءات او المنهجية المحكومة بتسلط المفهوم وتقويل النص بعيدا عن سياقه المعرفي او التاريخي ، فمهما حمل النص الأدبي والشعري من تقنيات تكنلوجية ومواد فنية متعددة يظل نصا أدبيا خاضعا لمعايير قراءة الأدب وتلقيه بفعل مشتركات الابداع والتلقي والقراءة .

وبما ان الشعر يرتكز على الوجود الإنساني فانه يفجر في اللغة طاقاتها الكامنة بما تمثله من وجود معنوي ومعرفي يختزن طاقاتها النغمية والبنائية التي يثورها الاستعمال الشعري بتوظيف بنيات الكلمة الصرفية والصوتية والاشتقاقية او بتوظيف السياق المتكامل لها من خلال الصور الفنية والتشكل المخصوص للغة المنحرف عن الاستعمال القار لها لاستيعاب التجربة الشعرية ،ولم نجد في القصيدة الرقمية بديلا عن اللغة او مزجا لها بأنساق فنية أخرى إذ بقيت التجربة الشعرية تجربة لغوية ترتكز على علاقات اللغة وبناها المشكلة لتحولاتها الدلالية المغيرة للنمط التصوري المألوف وصولا إلى إظهار خصوصية اللغة وجوانبها المخفية ويتضح هذا الأمر جليا من خلال إزاحة الأنساق الفنية الأخرى من صوت ولون وحركة وروابط تشعيبية ويظل النص الشعري محتفظا بوجوده الكامل والمستقل ويلحظ ذلك في نص مشتاق معن الاتي ([١٦]):

تحاصرني المنايا والشظايا
والهتافات التي ختلت ببابي
تباغتني.... لأفتح التاريخ
ومثلي يفتح التاريخ إن شاءت
أناملة
ولكني على مابي
أداس و.....
أظل أدوس على كل
الشظايا الخرقت بابي

وضع الشاعر مع هذا النص خلفية لسماء ملبدة بالغيوم ومقطوعة فيلم تيتانك ،فهل اضافت شيئا مغايرا لدلالات اللغة او انها استطاعت ان تمنح النص بعدا دلاليا مغايرا؟

القراءة الواعية للنص بمنظومته التفاعلية تثبت ان دلالات اللغة على ما فيها من تناقض واضطراب تظل مهيمنة على ابعاد النص، وتتحكم بموجهات الدلالة وفعل المحاصرة الذي يجبهنا به الشاعرمرتبطا بذاته عبر الاحالة الضميرية بضمير المتكلم ،لتؤكد تسيدها على البنية الداخلية للنص فالفعل القار فيه هو فعل المحاصرة التي آثر ان يبدأ نصه فيها ،لتتوالى المنايا والشظايا والهتافات برتبة لغوية واحدة من خلال نسق العطف بالواو ،وتهيمن على الشطر الشعري بابعادها البنية الفعلية المتمثلة بفعل المباغتة الذي يستلزم حشد مجموعة من المفردات لتتسق البنية اللسانية مع البنية العاطفية في ضرورة تأخر فعل المباغتة مع توظيف دلالة (التخفي) خلف الباب وما يستتبعها من دلالات ما تخفيه الباب ، وكأن الشاعر اراد من المتلقي ترقب ما سيجد ، لكن لحظة الترقب تتلاشى سريعا ليعلن ان ما سيفتح هو باب التاريخ بحمولاته المتعددة . وتعود بنية الاضطراب النفسي والتأرجح لتتسيد النص من خلال اثبات فعل القدرة على فتح التاريخ بالأنامل لا الاصابع ،ليؤكد هيمنته على التاريخ وتحكمه به ،لكنه لن يفتحه لان الحاضر مع المستقبل يمارسان دورا ضاغطا لغويا ودلاليا ،ويعود ثانية للتأرجح بين ان يداس او يدوس الشظايا بهذا الفهم من خلال البنية اللغوية استطعنا تثوير مجموعة من الدلالات عبر النص ولم تؤثر فيها السماء الملبدة بالغيوم او موسيقى تيتانك لتعطينا اكثر مما اعطته اللغة لنا ،بما يؤكد ان التجربة العربية للنص الرقمي لما تزل تتعامل بشكلية مع النص التفاعلي ولم تستطع دمج البنية الشعرية بالانساق التفاعلية الاخرى .

٣ـالقصيدة الرقمية والواقع الشفاهي :

حكمت الواقع العربي بنيات ثقافية متعددة تنوعت بين الكتابية والشفاهية والرقمية إلا ان الثقافة الشفاهية ظلت هي الثقافة القارة والمهيمنة على الوعي العربي وأسهمت البنيات الاجتماعية والتاريخية على تسيد الثقافة الشفوية لتكون ثقافة في الوعي ، وحين انبثقت الثقافة الكتابية في التطور الحتمي للمجتمعات نجد ان المجتمعات العربية لما تزل موئلا للشفاهية فنحن ((لم نكتب بعد))([١٧]) فإذا كانت بنية الثقافة المكتوبة لم تصل إلى مستوى الفهم والتحليل القادر على تسيدها للواقع العقلي والمعرفي فكيف يمكن لنا ان نتجاوز المرحلة الكتابية التي تشكلت في البنية المعرفية والثقافية الغربية لنصل إلى الثقافة الرقمية فما زلنا نعيش تحولات الشفاهي والكتابي فضلا عن ان الشعر العربي يعتمد التلقي الشفاهي في أصل بنيته وقد اثبت الواقع الثقافي بقاء المزية الشفاهية مهيمنة على القراءة الشعرية مزحزحة الأنماط التجريبية المتكئة على النثرية فلم تستطع قصيدة التفعيلة او قصيدة النثر زحزحة القصيدة العمودية عن مكانتها القارة

والمؤسسة للوعي الجمالي العربي إذ ظلت تعاني التجريب والتلفيق . ومما يؤكد هذا الأمر ان العقلية الابداعية العربية قد تربت على الشفاهية ، وعيا وفكرا وثقافة وإبداعا وتلقيا وان كنا نبتعد عنها بآلاف السنين لما نزل نعاني من سطوة الشفاهية في منظومتنا المعرفية والفكرية وفي تشكيل وعينا ومشاريعنا الحضارية ونستطيع ان نتعرف سطوة الشفاهية في بيئة الشاعر ووعيه المتشكل على وفق انساق العصر التي تطالب الشاعر بقراءة نصه لا بنشره مكتوبا بفعل هيمنة التلقي الشفاهي الذي يحقق النسق القولي الخاص باللغة العربية حتى أضحت جزءا من مخيلتهم وذاكرتهم ووعيهم بالعالم الذي لايمكن ادراكه إلا من خلال اللغة لجدلية العلاقة بينها وبين الفكر ، إلا ان سطوة الشفاهية لم تمنع من الايمان بضرورة نمو الكتابية من داخل الشفاهية بوصفها ضرورة تاريخية لتطور الوعي بحسبان ان الكتابية تضيء الوعي الحضاري وتمثل مرحلة متقدمة من مراحل التطور قياسا بالشفاهية التي تتأخر عنها حضاريا ، لذا عمد الشعراء الى محاولة تجاوز الوعي الشفاهي وبمقصدية التفاعل الواعي بين البنية الحضارية ومتطلبات التبدل الابداعي .

٤. القصيدة الرقمية وأزمة التجنيس :

الأجناس الفنية او الأنواع الأدبية من اعقد القضايا الجمالية التي حاورتها النظريات النقدية والمناهج الجمالية فمنذ ان هاجم الايطالي كروتشيه في كتابه الاستطبقيا عام ١٩٠٢ فكرة التجنيس الأدبي ردا على تطرف الكلاسيكية إلى آخر ماعرف في الساحة النقدية من تماهي الحدود والفواصل بين الأجناس وما تنبأ به رينيه ويللك واوستن وارين من ان قضية الجنس او النوع لايمكن ان تستقر في النظرية الأدبية([١٨]).

إلا ان الجميع تكلم عن تماهي الحدود والفواصل بين تفصيلات الجنس الأدبي بعينه بمعنى أنهم درسوا إشكالية تصنيف الشعر الحر او قصيدة التفعيلة او القصة . القصيدة ضمن الإطار الأدبي ولم يتعرضوا لطبيعة التماهي بين الأنساق الفنية المختلفة من رسم ونحت وتصوير وأدب ،إذ ظل لكل من هذه الأنساق معايير قراءة وتلقي وتذوق مغاير للآخر اعتمادا على البنيات السفلية والعلوية المشكلة للنسق الأدبي.

واتفقت جل النظريات على كون الجنس يماثل الكليات في العمل بمعنى ان البنية الكلية لماهية العمل تمثل الجنس بينما الخطابات الداخلية المشتركة تمثل النوع لذا أضحى الجنس أكثر شمولية من النوع.

فإذا حصل تقارب او تماهي للحدود فإنما يحصل بين الأنواع المشكلة للجنس الواحد مثل الشعر والرواية والقصة بالنسبة للأدب والرسم والنحت بالنسبة للفن التشكيلي وهكذا ، فلا يمكن تعميم الرؤية النقدية القائلة بإمكانية محو الحدود بين الأجناس الأدبية لان هذه الرؤية أيضا خاضعة للتبدلات الاجتماعية والثقافية

ومازالت تحتفظ للأنواع الأدبية فضلا عن الأجناس الأدبية والفنية بخاصية التفرد والاستقلال وان كان نسبيا ،فالفهم النقدي مازال يسمي الشعر شعرا والرواية رواية والقصة قصة وما بينهما يحاول ان يجترح لها وجودا تلفيقيا بحاجة إلى الاعتراف بها، ومعلوم ان التحولات الثقافية والحضارية وحدها قادرة على إحداث التماهي بين الأنواع لا الأجناس ومن خلال المبدع الحقيقي القادر على تمثل النتاج الفني لا من خلال مجموعة تلفق النتاج بدعوى التجديد .

صورة الشاشة الرئيسة لنص الشاعر ((مشتاق عباس معن / تباريخ رقمية لسيرة بعضها أزرق))

ان الخطاب الابداعي التقني في تجربته العربية قد انزلق وتكسرت جل ادواته المنهجية واجراءاته التطبيقية وهو يرود فضاءات الحداثة ومابعدها والعولمة وماتلاها او سيتلوها ، ولعل من مظاهر هذا الانزلاق تعامل خطاب الابداع التقني العربي مع مفهوم التفاعلية بطريقة الاستنساخ الاعمى غير القادر على تبيئة المصطلحات والافكار فضلا عن المنظومات الاجرائية،لذ لم نجد في الواقع الثقافي والابداعي نماذج رقمية او تفاعلية قادرة على منافسة الانماط التقليدية فضلا عن تسيدها الخطاب الإبداعي، لان الابداع الادبي والشعري لا يتشكل من منظومة لغوية او تقنية فحسب وإنما يتحاور مع مناخات ثقافية وتراكمات معرفية وأنظمة سوسيولوجية تعمل بمجملها على تهيئه أدوات الشاعر وصياغتها على وفق منظومة معرفية تتلاحم وتتفاعل مع الذات الجمعية المتلقية للعمل الابداعي، والتي تستلزم ايجاد التوازن الدقيق بين الجانب الحضاري والجانب الجمالي من دون الانصياع لاحدهما على حساب الاخر، وهو ماوقعت فيه تجارب القصيدة الرقمية من خلال سقوطها في فخ الاهتمام بالبنية التقنية ،وروابطها التشعبية ،والوسائط الفنية الاخرى على حساب التوظيف الفعلي والابداعي لماهية الادب التفاعلي ،مما جعل من التقاطب والتلفيق سمة الخطاب الإبداعي في مجمل النصوص الرقمية القائمة على الفهم المخطوء القائم بدوره على التجريب المؤدي إلى تشظي الإبداع وأصحابه في مشاريع اقرب ما تكون إلى الوهم ،لأنها تنطلق من أفكار جرى تنميطها وتحويلها إلى قناعة ثقافية مرسخة في الذات المبدعة،هذا التنميط الذي دأبت على تسويقه منظومات التقليد والاجترار والانسياق الأعمى وراء كل ما هو جديد اثر في تحديد مسارات الوعي ،التي ابتعدت عن تمثيل الواقع بمفاهيمه و أدواته .

الهوامش :

١- ينظر : أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر (مقاربات نقدية وسجالية) ،علي حرب ،ص ٣٤ .

٢ ـ ينظر التراث والحداثة ، مداخلة د. سعيد بنسعيد في فصل المناقشات ، ٢٨٧ .

٣ ـ ينظر : المرايا المقعرة :نحو نظرية نقدية عربية جديدة ،عبد العزيز حمودة ،ص٤٧ .

٤- ينظر ـ النص الترابطي ، مدخل إلى الأدب التفاعلي ، سعيد يقطين ، ص ١٠ .

٥- مدخل إلى الأدب التفاعلي ، فاطمة البريكي، ص ١٥،.

٦- علم النص ، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي ، ص،٢١ .

٧. ينظر:الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المتفرع، د. حسام الخطيب،ص ٦٥ .

٨- ينظر : النص الرقمي وأجناسه قراءة في واقع منتج النص الرقمي في العالم العربي ،السيد نجم ، مقال في موقع مجلة الفوانيس ١٤ تشرين الاول ٢٠٠٧ .

٩- ينظر ـ ((الأدب وبويطيقا المجهول))، مقال ، محمد برادة ، مجلة الكرمل ، العدد ، ٥١ ، ١٩٩٧، ص ٦٤.

١٠ ـ ينظر ـ النص الترابطي ، مدخل إلى الأدب التفاعلي ، سعيد يقطين ، ص٣٢.

١١ ـ ينظر (السيميوطيقيا والعنونة) ،د.جميل حمداوي ،مجلة عالم الفكر ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والآداب ، الكويت .(المجلد الخامس والعشرون)، العدد الثالث، ١٩٩٧ ،ص، ٧٥.

١٢ ـ في الفلسفة والشعر مارتن هيدجر ، ترجمة د. عثمان أمين ، ص ٩٢.

١٣ ـ ينظر: المرايا المحدبة ، من البنيوية إلى التفكيك ، د، عبد العزيز حمودة ،ص٣١٣.

١٣ـ مقال في اللغة الشعرية، محمد الأسعد، ص ١٨.

١٤ ـ مشكلة الحياة ، زكريا إبراهيم ،ص ٨٢.

١٥ـ موقع النخلة والجيران ، شبكة الانترنيت

١٦ـ تعددية الواحد ، مقال لمحمد بنيس ، مجلة الكرمل ، العدد ٥٧ ، ١٩٩٥، ص٣٤.

١٧- ينظر :ماالجنس الأدبي ، جان ماري شيفر ، ترجمة غسان السيد ، ص،٤٥ .

مراجع البحث :

١٨ . أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر (مقاربات نقدية وسجالية) ،علي حرب ،دار مدارك للنشر ،بيروت ،٢٠١٣ .

٢. . الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المتفرع، د. حسام الخطيب، المكتب العربي لتنسيق الترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٦.

٣. التراث والحداثة / دراسات ومناقشات ، د. محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩.

٤. علم النص ، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي ،دار توبقال ، الدار البيضاء ، الطبعة الاولى ،,١٩٩١

٥ . في الفلسفة والشعر مارتن هيدجر ، ترجمة د. عثمان أمين ، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٦٣,

٦ . ماالجنس الأدبي ، جان ماري شيفر ، ترجمة غسان السيد ، اتحاد الأدباء والكتاب العرب ، دمشق ، ,٢٠٠٥

٧ . مدخل إلى الأدب التفاعلي ، فاطمة البريكي، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦.

٨ . المرايا المحدبة ، من البنيوية إلى التفكيك ، د، عبد العزيز حمودة ، سلسلة علام المعرفة الكويتية مطابع الرسالة الكويت ، العدد ٢٣٢.

٩. المرايا المقعرة ، نحو نظرية نقدية عربية ، د، عبد العزيز حمودة ، سلسلة علام المعرفة الكويتية العدد٢٧٢ مطابع الرسالة الكويت ،٢٠٠١.

١٠ . مشكلة الحياة ، زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٧١ .

١١ . مقال في اللغة الشعرية، محمد الأسعد، بيروت . ١٩٩٥,

١٢. النص الترابطي ، مدخل إلى الأدب التفاعلي ، سعيد يقطين ، تونس ، ٢٠٠٧.

المجلات

١ . ((الأدب وبويطيقا المجهول))، مقال ، محمد برادة ، مجلة الكرمل ، العدد ، ٥١، ١٩٩٧

٢ . تعددية الواحد ، مقال لمحمد بنيس ، مجلة الكرمل ، العدد ٥٧ ، ١٩٩٥,

٣. السيميوطيقيا والعنونة ،د.جميل حمداوي ،مجلة عالم الفكر ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والآداب ، الكويت .(المجلد الخامس والعشرون)، العدد الثالث، ١٩٩٧ .

٤ . النص الرقمي وأجناسه قراءة في واقع منتج النص الرقمي في العالم العربي ،السيد نجم ، مقال في موقع مجلة الفوانيس ١٤ تشرين الاول ٢٠٠٧.

مواقع الانترينت

١. موقع مجلة فوانيس www.alfwanis.com

٢. موقع النخلة والجيران www.alnaklawalgeran.com

Research Summary

the study was devoted to investigating the essence of the digital poem within the system of interactive literature, researching the poetics of the digital creative text, examining its mechanisms and trends towards interrogating the text and the significance formed in the interactive discourse in general, stressing the reading of the Arabic digital text within the Arab knowledge system and our presentation of the anxious experimentation of the digital poem that is the experience of ((digital excuses) Some of the biography is blue)) as a model for the first Arabic digital poem